

وَلَمَّا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٦﴾

عناصر المادة:

- 1- عداء دائم، وفي كل مرحلة من عمر أمتنا (أحزاب)
- 2- ما قبل الأحزاب الأولى، وأثناءها:
- 3- موقف الناس في غزوة الأحزاب
- 4- نتائج المعركة، وسبيل الوصول إليها
- 5- الأحزاب في الشام

مقدمة:

أمة بدون تاريخ.. أمة لفيفة، ولأن التاريخ عبرةٌ وما جرى فيه سنة من سنن الله تعالى..
فحربيٌ بنا العودة إليه والنهل من معينه، والاستفادة من دروسه..

اقرؤوا التاريخ فيه العبر *** ضلّ قومٌ ليس يدرُون الخبر ..

قال زين العابدين - رحمه الله - : (كنا نعلم مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما نعلم السورة من القرآن) الحمد لله نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأمر من قبل ومن بعد ومنه الفرج والنصر وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ رسالة ربها، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

1- عداء دائم، وفي كل مرحلة من عمر أمتنا(أحزاب)

غزوة الأحزاب لها من اسمها نصيب، فقد كانت عبارة عن تحالف (يهودي - جاهلي)، حرّكته يهودُ الذين قالوا لقریش: إن دينكم خير من دين محمد.

ونزل القرآن فاضحاً لهم، ولاعناً لهم ولمقولتهم: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبَنَا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَلَاءُ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا *) [النساء:51-52]

وسار به المشركون، والجاهلون الذين هم أدوات بيد أعداء الله ورسله، وكل ذلك مصداقاً لقول ربنا: (وَلَا يَزَالُونَ يَقَاوِلُونَ حَتَّى يَرْدُوْكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا...) (البقرة:217)

فلا يزال الكيد والعداء يتواتي منذ ذلك الزمان، ومنذ بدأ حصار الخليفة الراشد عثمان حتى قتل شهيداً رضي الله عنه، ومروراً بأحداث التتار الذين قوضوا الخلافة العباسية بمؤازرة من المنافقين من داخل الصف الإسلامي، ثم كانت الأحزاب

الثالثة حين سقطت الخلافة الإسلامية على أيدي الأحزاب من اليهود والنصارى والمنافقين، وفرقَ المسلمين، وكان الاستعمار البغيض، وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر... كان هجوم الأحزاب على المسلمين... وشكل المنافقون حليفاً في هذا الهجوم، يشكك في الثوابت، ويُسخر من القيم، ويطعن بالدين، ويُسخر من المُتدينين.

والاليوم تَشَكَّلَ الأحزابُ من جديد بعناصرهم المختلفة من يهود ونصارى وباطنيين ورافض ومنافقين ليشكروا طوقاً يحيط بالمسلمين في بلاد الشام، حتى وصل أحفاد يهود عبد الله بن سباء من (إيران وحزب الشيطان ومليشياتهم المجرمة) وتآلوا وتحزبوا على أرض الله المباركة (الشام - وحوران).

2- ما قبل الأحزاب الأولى، وأثناءها:

عباد الله: تشير كتب السيرة أن غزوة الأحزاب - التي نزلت باسمها سورة كاملة من سور القرآن العظيم - كانت بدايتها بتحريض من يهود بنى النضير الذي أجلاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى خير، فتحرك زعماؤهم إلى مكة محرضين قريشاً على قتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وكما حُرِضَتْ يهود قريشاً فقد ذهبوا إلى غطفان وحرضوهم، ووعدهم تمر خير لمدة سنة إن ساروا معهم... وكذلك تُحرِّكَ المصالح الضيقة المبطلين قديماً وحديثاً.

وهكذا تشابكت الأغراض والمصالح، واجتمعت الأحقاد والثارات، وانضاف إليها خيانات يهود بنى قريطة، وإرجاف المنافقين... فشكلت هذه العناصر كلها معركة الأحزاب التي تألفت من عشرة آلاف مقاتل، وهو عدد لم يسبق أن وطئ المدينة مثله.

وبحين بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تحرُّكُ المشركين عن طريق خزاعة.. استشار أصحابه كعادته، فكانت المشورة المباركة من سلمان الفارسي بحفر الخندق، خنْدُقٌ يمتد طولاً خمسة آلاف ذراع، وبعرض تسعه أذرع، وبعمق يتراوح ما بين سبعة إلى عشرة أذرع عمقاً، وكان التوزيع على عموم المسلمين، ومن انتهى من مهمته عاد لمساعدة إخوانه... استمر حفريه (ستة أيام أو عشرين ليلة على اختلاف روايات أهل السير، إلا أنه كان إنجازاً عظيماً وبكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولاقي فيه المسلمين كل ألوان التعب والنصب والجهد والبلاء) من نقص في الطعام، وشدة في البرد، وخوف أياً ما خوف - تماماً كحال أبطالنا ومجاهدينا اليوم - .ويختصر القرآن توصيف الحال التي كان عليها المسلمين بقوله: (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَتِ الْأَبْصَارُ وَلَأَفَتِ الْقُلُوبُ الْحَتَاجَرَ وَتَطْئُنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ أَبْتُلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا*) [الأحزاب-11]

وقد ورد أن الذين (من فوقكم) بنو قريطة، والذي (أسفل منكم) قريش وحلفاؤها.

وتحتسبع اليوم القول.. من فوقكم: (اليهود ومن حالفهم من دول الشرك والعرب)، والذين من أسفل منكم: (إيران، وحزب الشيطان، وشار، وأعوانهم من المجرمين).

ومع تلك الحال فما تغيَّبَ أحدٌ من المسلمين دون عذر، وما تكاسل أحد عن المشاركة في الاستعداد للمعركة، حتى الصبيان الذين لم يُجازُوا في الغزوة لصغر سنهم كانوا مشاركين في حفر الخندق، فزياد بن ثابت رضي الله عنه كان غلاماً صغيراً لكنه كان في وسط الخندق مشاركاً، حتى إذا نعس من الإعياء فأخذ عمارة بن حزم سلاحه لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - (نهى أن يروع المؤمن لعباً أو جداً) [مفازي الواقدي]

3- مواقف الناس في غزوة الأحزاب:

- أما المؤمنون فعلى حد وصف الله لهم بقوله: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

يَنْتَهُرُ وَمَا يَدْلُو تَبْدِيلًا*) [الأحزاب-22-23]

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ: فَبِدَأُوا يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَقُولُونَ (إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فَرَارًا) (الْأَحْزَاب:13).. وَآخِرُونَ يَقُولُونَ: (مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (الْأَحْزَاب:12)

أُمَّا نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ: فَأَمَّا سَعْدُ بْنُ مَعَاذَ تَرَى إِبْنَهَا سَعْدًا وَعَلَيْهِ درعٌ فَتَقُولُ: الْحَقُّ يَا بْنِي، فَقَدْ وَاللَّهُ أَخْرَجَ [سِيرَةُ ابْنِ هَشَامٍ] وَصَفِيَّةٌ تَقُولُ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ يَطُوفُ بِالْأَطْمَاطِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَذَرَارِبِهِمْ.

زوجة جابر تصنع طعاماً بارك الله فيه فكفي أهل الخندق كلــ كما أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله -ونذهب
جابرٌ -رضي الله عنهــ إلى امرأته فقال: (رأيتُ بالنبيــ صلــى الله عليه وسلمــ شيئاً ما كان في ذلك صبرٌ؛ أي: لم أستطع أن
أصبرَ على ما شاهدْتُه من جوع النبيــ صلــى الله عليه وسلمــ، فذبحَ جابرٌ شاةً وطحــنَ صاعاً من شعيرٍ، ودعا النبيــ صلــى
الله عليه وسلمــ ليأكلــ، فأتــى النبيــ صلــى الله عليه وسلمــ وبصــقَ في البرمةــ أي: الفــدرُ الذي فيه اللــحمــ، وبصــقَ في
العــجينــ، فباركَ الله في الطعامــ، فأكلــ منه ألفُ رجلٍــ. قال الراوي: "فأقــسِمْ باللهــ! لقد أكلــوا حتى تركوهــ وانحرفواــ، وإن بــرمــتنا
لتغــطُـ كما هيــ، وإن عــجــينا لــيُخــبــزُـ كما هوــ" (رواه البخاري)

والنبي صلى الله عليه وسلم يحفر الخندق بيديه الشريفتين مع أصحابه، وينقلُ معهم الترابَ، كما قال البراءُ -رضي الله عنه- : (رأيتُ النبيَ -صلى اللهُ عليه وسلم- ينقلُ من ترابِ الخندقِ حتى وارَى عَنِ الْغَبَارِ جَلَدَةً بَطْنَهُ) (رواه البخاري)
وكان صلی الله عليه وسلم مثلاً يحتذى للقائد الذي يشد أزر جنوده.. فالصخرة التي اعترضت الصحابة وهم يحفرون
الخندق يضربيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمعوله فلمعت برقةٌ.. ثم ضرب أخرى وثالثة كلها تضيء وتبرق،
فأخبرهم صلی الله عليه وسلم بفتحِ في اليمن، والشام، والمغرب، والمشرق... حتى هذه الأمسكار كلها، والصحابة شهدوا
عليها، بل هم فاتحوها - وكان يسلّيهم وهم يحفرون الخندق ويرتجز ويرتجزون:

نَحْنُ الَّذِينَ يَأْتِيُونَا مُحَمَّداً... عَلَى الْجَهَادِ مَا يَقِinَّا أَبْدَلُ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ... فَاغْفِرْ لِلنَّاصِرَ وَالْمُهَاجِرَةَ

استئثار عام.. وتحفيز كبير.. واستخراج لكل القدرات والطاقات في المجتمع المسلم.

وهكذا لابد من أن يكون حالنااليوم في مواجهة هذه الهجمة البربرية من الصفوين وأتباع الشياطين.. وقفه كالجسد الواحد بكل الفسائل والسميات، بصفوف مرصوصة، وعزائم ماضية، وهم عالية.

٤-نتائج المعركة، وسبل الوصول إليها

فإن حصلت هذه الوحدة وتجمعت الطاقات، وحصل التضرع والاستعانة بالله، فماذا يمكن أن يحدث ؟؟؛ إنه العون الرباني والنصر الإلهي.. وهذا ما حصل في الأحزاب..

- فمع مفاجأة المسلمين لأعدائهم بالخندق الذي يحيط بالمدينة المنورة، وصعوبة اقتحام خيلهم له، حيث لم تألفه، ومع استطاعة مجموعة من المشركين أن تعبّر مضيقاً من مضائقه... إلا أن فرسان المسلمين لهم بالمرصاد، ووّقعت ملحمة بين عمرو بن عبد ود أحد الفرسان الذين عبروا الخندق وبين علي بن أبي طالب حيث جرى حوار أعقبه لقاء وانتهى بقتل عمرو بن عبد ود... .

* ولم يكن الخندق - الذى كان رمزاً وترجمة عملية لوحدة صف المسلمين- وحده السبب فى هزيمة المشركين وتراجعهم،

فقد بعث الله على الكفار جنداً من عنده (وَلَلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، كما أرسل عليهم رحراً كفأة قدورهم، وقلعت خيامهم، وملأت عيونهم وخيلهم تراباً.. وصدق الله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)
* ولا تتوقف عوامل النصر على ذلك.. فالله يصطفى من عباده حملةً لدینه ورجلاً صدقوا ما عاهدوه عليه.. فها هو نعيم بن مسعود الغطفاني يعلن إسلامه، ويعرض خدماته على النبي، فرحب به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: (إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ
وَاحِدٌ فَخَذْلَ عَنَا إِنْ أَسْطَعْتُ)

وفهم نعيم المقصود، وراح يخذل الأحزاب، ويفرق كلمتهم؛ واتهمت كل طائفة الأخرى...
* يضاف إلى ذلك - الدعاء الخالص والتضرع بالقلب الواجب لله رب العالمين - هذا السلاح الذي يستطيعه الضعيف والقوى، وهو المكثُرُ للقلة، والمقوي للضعف، والركن عند البلاء... فقد كان لا يفتر عن دعاء ربه، وتفييناً إحدى روایات السیرة أنه صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب وقال: (اللَّهُمَّ مَنْزِلُ الْكِتَابِ سَرِيعُ الْحِسَابِ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ)

5-الأحزاب في الشام

لقد تحزب الأحزاب اليوم على سوريا، وجاؤوا يزحفون من كل حدب وصوب، فمع العدو النصيري الداخلي جاء الحزب الثوري الإيراني، وحزب الشيطان اللبناني، والمليشيات العراقية الشيعية، والمرتزقة من كوربيين وأفغان، بمساندة من قوى الشرك والإلحاد الغربي من الصليبيين والشيوعيين.

لقد حزبوا أحزابهم، وجيروا جيوشهم، وأجلبوا خيالهم ورجلهم على شامنا الأبية في حلب وحماء وإدلب وفي الساحل والقلمون وتوعدوا وهددوا وأردعوا..

وتشتد ضروأة معارضهم اليوم في حوران والقنيطرة لأنهم يعلموا، - وقد صرحو بذلك، ولعلكم شاهدتم ما نشروه في قنواتهم - أن حوران إذا سقطت بيد المجاهدين فستسقط دمشق، وسيسقط بعدها الحلم الذي يحلمونه من إقامة دولتهم الفارسية الم gioseia

جاؤوا يقولون نحن على بعد عشرين كيلومتراً من إسرائيل التي يتعامل معها المسلحون والإرهابيون لاحتلال سوريا؛ بينما قادتهم يقولون لإسرائيل ستكونون في مأمن من نيراننا.

فيا أهل حوران.. يا أهل أرض معركة اليرموك والقادسية، يا أحفاد خالد وصلاح الدين وأبي عبيدة:

إن أعداء الأمة لما فشلوا في حسم معركتهم على أرضنا زجوا بهؤلاء الأرجاس الأنجال ليقضوا على مهد الثورة وأملها، وليحافظوا على دمشق العاصمة التي إن سقطت فستسقط عروشهم، سموها معركة الحسم وسيكون الحسم بإذن الله لنا.

ويا أهل حلب والساحل وحماء وإدلب والقلمون لو انتصر هؤلاء فسينتهكوا أعراضكم، ويسبوا نساءكم، وينتهيوا دياركم، ويغتصبوا أرضكم، ويرفعوا رايات الحسين على مآذنكم بعد أن كانت تصدح بالتوحيد

ويا أهل الشام جميعاً.. لولا أنكم من اختاره الله من عباده، واصطفاه من سكان بلاده لما خصمكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريك فيها مجار ولا يباريكم فيها مبار، فطوبى لكم من مجاهدين ظهرت على أيديهم المعجزات النبوية، والوقائع البدوية، والفتح العمري، والجيوش العثمانية.

لقد جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقائع اليرموكية، والهجمات الخالدية.

واعلموا - رحكم الله - أن هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وبرزواها، وسربوا إليها سرايا عزماتكم وجيشهما، فأين حرأس العقيدة؟! وأين حماة الأعراض؟! وأين المدافعون عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟!

قوموا ولدوا نداء الله في مواجهة هذا العدو المخذل و(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) (التوبة

(قاتلواهم يعذبهم الله بأيديكم ويخذهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) (التجوية 14)

لقد جاؤا يدافعون عن مرافق مزعومة، يموتون في سبيل قبور (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) (النساء 76)

(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصوروون * وإن جندنا لهم الغالبون) (الصفات: 173-171)

فيا خيل الله اركبِي *** ويا ساحات الوعى اشهدِي

سل الرماح العوالي عن معالينا واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
عزم كالنجوم الشهُب بثاقبة ما زلن يحرقن حزب الشياطين
وإيران المجروس لا قام قائمها بأرض الشام تحسُّهم أيدينا

فيا أبطالنا وثارنا عليكم بما حق النصر لنا في الأحزاب الأولى:

- رص الصفوف
 - استنهاض الهم والقدرات
 - الدعاء والتضرع لهزيمة هؤلاء الأنجلاس

وكونوا كما قال القائل:

عَبْدُ اللَّٰهِ لِلَّٰلِ إِذَا جَنَّ الظَّلَامَ بِهِمْ *** كم عابد دمعه في الخد أجراه
وَأَسَدُ غَابِ إِذَا نَادَى الْجَهَادَ بِهِمْ *** هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (الحج: 40)

المصادر: